اللّغة العربيّة بين تداخل الثّقافات وتمثّل الهويّة.

Arabic language Between interculturel and identity.

أ. هلالي فاطمة‡

تاريخ الاستلام: 2020.06.08 تاريخ القبول: 2021.05.03

ملخّص: يهدف البحث إلى دراسة علاقة اللغة العربيّة بالثّقافات الأخرى كمظهر من مظاهر ما بعد الحداثة، وباعتبار الفكر ومنه اللغة أوّل طريق نحو التّبعيّة الفكريّة والثّقافيّة، في ظل تداخل الثّقافات واختلاط الهويات تحت ما يسمّى العولمة، ورصد التّحديات التي تواجه اللغة العربيّة، ودور هذه الأخيرة في الحافظ على كيان الأمّة وخصوصيتها العربيّة والإسلاميّة هذا ما حاولنا توضيحه من خلال هذه الورقة البحثيّة

الكلمات المفتاحيّة: اللغة؛ الثّقافة؛ الهويّة؛ العولمة.

Abstract: The research aims at studying the relationship of Arabic to other cultures;as apost-modern aspect,and as a way of thinking , including language as the first way toward intellectual and cultural dependence,with the intermingling of cultures and identities under the so-called globalization ,monitoring the

‡جامعة العربي التّبسي-تبسة، الجزائر، البريد الإلكتروني: fatima.helali@univ-tebessa.dz (المؤلّف المرسل).

challenges facing Arabic language ,and the role of the latter in preserving the nation's existence and privacy This is what we tried to clarify through this paper.

Keywords: Language; culture; identity ;globalization.

1-المقدّمة: تمثّل اللغة، الثّقافة والهويّة كيان كل أمّة ولا يمكن أن تنفصل بأي حال من الأحوال، تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها مشكلة كلا يصعب فصله، فإمّا أن تنمو مع بعضها البعض وتتطور أو تتخلخل وتتفكك فتتلاشى مع بعضها، محدثة أزمة في حياة المجتمع فكرا وثقافة وحضارة.

والحديث عن اللغة العربيّة ووضعيتها في المجتمعات العربيّة عامّة والمجتمع الجزائري خاصة يعد من أولويات الأمور؛ نظرا لما تعانيه اللغة العربيّة في عصرنا وما التّ إليه، خاصّة مع التّغيرات المتسارعة التي نشهدها والتي تتمثل في التّطور التّكنولوجي والعلمي، اكتساح الآلة لحياة الفرد، وتغير النّظم الحياتيّة وسيطرة العولمة كنظام على دول العالم الثّالث، وما جاءت به من شعارات ظاهريّة كحوار الحضارات وتعايش الأديان وتعايش الثّقافات.

ولئن كان هذا النّظام العالمي أو الكوكبي كما يطلق عليه يبدو خادما للبشريّة ويؤدي إلى التّعرف على الثّقافات والانفتاح على الآخر، فإنّه في جانب من جوانبه يهدم خصوصيّة الاختلاف والتّنوع، ويمزق هويّة الأمم المتمثلة في لغتها وثقافتها بالدّرجة الأولى، لأنّه نظام استغلالي له مصالح وغايات تروم نهب الثّروات والسّيطرة على الشّعوب.

وعليه جات هذه المقالة للبحث في وضعيّة اللغة العربيّة وتأزم مشكلتها، وعلاقتها بالهويّة، وعلاقتها بالثّقافة، وما تواجهه في ظل العولمة من تحديات وصعوبات.

فكيف تتمثل الهويّة من خلال اللغة العربيّة؟ وماهي طبيعة العلاقة بينهما؟ وماذا نقصد بالتّعدد الثّقافي وما علاقته باللغة العربيّة وبالهويّة؟ وماهي تداعيات العولمة على اللغة العربيّة؟ وكيف يمكن الحفاظ على اللغة العربيّة؟

سنحاول الإجابة عن هذه التّساؤلات كمحاولة لدراسة وضعيّة اللغة العربيّة ومعالجتها، وقد اتبعنا المنهج الوصفي في التّحليل باعتبار اللغة العربيّة ظاهرة تدخل في تشكيل الوعي ومنه حياة الإنسان وتستدعي الوصف والتّحليل.

2.اللغة العربيّة وسؤال الهويّة: يعدّ مفهوم الهويّة من المفاهيم المركزيّة التي تسجل حضورها في مجالات علميّة متعددة ولا سيما في مجال العلوم الإنسانيّة ذات الطّابع الاجتماعي، وبالتّالي فهي من أكثر المفاهيم تغلغلا في حياتنا اليوميّة والثّقافيّة والاجتماعيّة نمارسها بطرق واعيّة أو غير واعيّة ويطلق مفهوم الهويّة على: «نسق المعايير التي يعرف بها الفرد ويعرف وينسحب ذلك على هويّة الجماعة والمجتمع والثّقافة»[1] (ميكشيللي،1993).

وعلى الرّغم من بساطة مفهوم الهويّة ظاهريا، إلاّ أنّها غاية في التّعقيد لأنّه مفهوم بالغ التّنوع ومتشابك في دلالاته واصطلاحاته، ذلك أنّ الهويّة ليست كيانا جاهزا، وإنّما هي خاصيّة وميزة تلازم الفرد كما المجتمع وتمس جميع المجالات الحياتيّة، تولد وتنمو وتتغاير، وتشيخ وتعاني الأزمات والتّحديات.

وتعتبر اللغة قيمة جوهريّة كبرى في حياة كل أمة وهي الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم والمعاني؛ فتقيم روابط الاتصال والتّواصل بين أبناء الأمّة الواحدة، وبها يتم الانسجام والتّقارب والتّشابه بينهم، فهي الوسيلة التي تجمعهم واللسان النّاطق باسمهم جميعا.

اللغة هي الحصن الذي يحمي كيان الأمة، ويحرص ثقافتها، وهي مظهر من مظاهر التّاريخ، والتّاريخ صفة لكل أمة فهي صفة ثابتة لا تزول إلا بزوال الجنسيّة وانسلاخ الأمة عن تاريخها.

فاللغة العربيّة في علاقتها بالتّاريخ ليست متماهيّة معه فحسب، بل هي التّاريخ بكل شموليته، وبكل ما يحمله من دواعي المعرفة من مدونات ومؤلّفات، فهي الذّات الإسلاميّة العربيّة على مر الزّمن.

واللغة العربيّة رمز من رموز الانتماء، ومكون من مكونات الهويّة الثّقافيّة العربيّة فهي المعبر عن الفكر وفلسفته وكل ما صنعه –التّاريخ –أو كل ما هو مستجد– الحاضر–فاللغة هي التي تصنع الهويّة؛ والهويّة لا

يمكن أن تتحقق بعيدا عن اللغة فهما ثنائي متكامل يتأثر ويؤثر، وأي اختلال في اللغة هو بالضّرورة اختلال في الهويّة ومزعزع لها.

إنّ اللغة العربيّة لغة تحمل رسالة إنسانيّة بمفاهيمها وأفكارها واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانيّة خلدها التّاريخ، اشتركت فيها كثير من الأمم العربيّة؛ حيث اعتبر العرب اللغة العربيّة لغة حضارتهم وثقافتهم فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسّياسة والدّين والفلسفة والمنطق والأدب والفن.

هكذا مكانة مرموقة للغة العربيّة جاءت العولمة وما تحمله من تناقضات وتداعيات لتزعزع هذه اللغة التي تشهد كل يوم تراجعا ملحوظا بسبب خيانة أبنائها لها أوّلا وما حمله العصر من مستجدات ثانيا.

وتواجه اللغة العربيّة في عصرنا الحاضر اختلاط الهويات وتمازجها تحت ما يسمى التّعايش الثّقافي والفكري، واللغة هي وعاء الفكر، إذ يشكل تداخل الهويات خطرا على اللغة العربيّة، من خلال الذّوبان في الآخر وتقليده ما يؤدي إلى التّبعيّة الفكريّة والثّقافيّة.

ويمكن أن نستدل على هذا من واقعنا المعيش، حيث أصبح استخدام اللغة الفرنسيّة في خطاباتنا اليوميّة المتداولة أمرا طبيعيا في بيوتنا– كأن تقوم الأم باستخدام عبارات أجنبيّة مع أبنائها مثلا –وهذا يعكس غياب الوعي عند المرأة وتخلخل في شخصيتها لأنّ معركة العصر الحالي هي معركة بقيادة تيار الثّقافة الوافدة التي تهدف أساسا: «إلى طمس كل الخصوصيات، وما تحمله من طروحات هدامة مكرسة للبهيميّة إنّها معركة الثّقافة تدجن المرأة لتدمير خلايا النّسيج الاجتماعي، بل إنّها ثقافة المعركة تستعمل فيها أسلحة الفكر والفن بعيدا عن المواجهة بمنطق الصّراع الحضاري»[2] (بلخير،2006).

كما نلاحظ هذا الاستعمال في شوارعنا بل حتى النّخب المثقفة تشارك في هذا بوعي أو دون وعي كنوع من الرّقي الاجتماعي والثّقافي كما يخيل لدى البعض؛ حيث استخدام

اللغة العربيّة هو نوع من التّخلف خاصة في المدن الكبرى التي تتوفر بها إمكانيات التّطور.

وعليه فإنّ اية لغة: «مهما كانت قويّة لا تستطيع أن تفعل شيئا في عقول مهزومة وأسنة معوجة، وعليه أيضا فإن على أصحاب اللغة أن يبدؤوا هم بالنّهوض من عثرتهم والإيمان بقدرتهم، والثّقة بأنفسهم، وأوّل علامة من علامات النّهوض الإيمان بلغتهم والثّقة بأهليتها والاعتزاز بها والحرص على إحيائها في مختلف المجالات»[3] (الحفيان).

كما يمكننا أن نستدل بمواقع التّواصل الاجتماعيّة، حيث أضحى التّواصل فيها باللغة العاميّة والفرنسيّة –مزيج بين العاميّة والأجنبيّة الفرنسيّة المكتوبة بالحروف –

فهذا الذّوبان في الآخر ناتج عن ارتباط الوعي الجمعي ونظرته للآخر الذي يمثل صورة الآخر المتطور والقوي –هويّة الآخر–في الذّاكرة الجمعيّة التي تمثل صورة الأنا الضّعيفة والمتخلفة – هويّة الأنا–، وبالتّالي تذوب هويّة الأنا في هويّة الآخر حتى تتفكك ويستعصي عليها تحديد مكانتها إلى جانب الهويات الأخرى، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون ب: «المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»[4] (ابن خلدون،1971).

إنّ اللغة العربيّة هي تمثل للهويّة العربيّة الإسلاميّة، ورمز من رموز الانتماء الدّيني الإسلامي، فاللغة العربيّة لا تقتصر وظيفتها على التّواصل فقط بل تتميز عن غيرها من اللغات بخاصيّة دينيّة فريدة وهي ارتباطها بكلام الله تعالى " القرآن الكريم " فهي لغته وبها نزل يقول تعالى في كتابه الحكيم: ﴿**إنّا أنزلناه قرآنا عربيًّا لعلّكم تعقلون**﴾[5] (الآية2 سورة يوسف) وأيضا: ﴿**بلسان عربيٍّ مبين**﴾ [6] (سورة الشّعراء الآية195)

فلغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأديّة للمعاني نظرا لثرائها اللغوي والاشتقاقي.

وهنا تظهر ميزة اللغة العربيّة وتفردها في الجانب الدّيني الذي يشكل الهويّة الدّينيّة العربيّة في مقابل الهويات الأجنبيّة الأخرى.

فاللغة من الأمّة أساس وحدتها ومرآة حضارتها ولغة قرآنها الذي وصل إلى الذّروة فكان مظهر إعجاز لغتها القوميّة، فالقرآن الكريم كتاب لبست فيه العربيّة ثوب الإعجاز القرآن الذي أخرس الكفار ببيانه وتبيانه وباللغة ذاتها.

وبهذه المسيرة التّاريخيّة والدّينيّة دخلت اللغة العربيّة كمقوم أساسي وجوهري في الهويّة الإسلاميّة، وأصبحت ذات حضور وجداني وديني وثقافي وحضاري تاريخي قوي وبقيت ملازمة للإسلام الذي بقى بقاء العصور.

كما أسهمت اللغة العربيّة في تشكيل وبناء هويّة الأمّة من خلال احتضان التّراث الدّيني والموروث الثّقافي الذي كتب باللغة العربيّة سواء على يد العرب أم العجم والذين كانت لهم الرّغبة الصّادقة في إرساء حضارة عربيّة إسلاميّة مبنيّة على أساس متين.

إذن فعلاقة اللغة العربيّة بالهويّة علاقة غائرة في الزّمن، وماضيّة في التّاريخ ومتأصلة على مر العصور، لا يمكن حصرها في فترة أو فئة صغيرة أو رقعة جغرافيّة محددة، إنّها جزء من حضارة الأمة، حاضرا وماضيا ومستقبلا.

وتأتي العولمة كتيار ونظام غربي مفبرك يفتك بالأمم بلغاتها وثقافاتها وهوياتها فإن المسألة تتعدى حدود المجتمع الواحد، لتمس أمّة كاملة لها السّمات والخصائص نفسها ولها التّوجه الايديولوجي والفكري والحضاري نفسه كالأمة العربيّة الإسلاميّة التي يحدها الانتماء إلى اللغة العربيّة والدّين الإسلامي والتّراث العربي الإسلامي العريق، والحضارة العربيّة الإسلاميّة.

وكما لن ترض عنَّا اليهود ولا النّصارى حتى نتبع ملتهم، فإنّ الخطر كبير جدا على الأمم العربيّة وفي مقدّمتها اللغة العربيّة، إنّها حرب ثقافيّة فكريّة تسعى لقتل الهويّة العربيّة الإسلاميّة وطمس معالمها، وخلق جيل عديم الانتماء لا يعرف من نفسه أو هويته شيئا، جيل ليست له خصوصيّة فكريّة أو ثقافيّة لا يمكن أن يقيم دولة قويّة أو يبني حضارة رصينة، جيل مغيب الحضور متلاشي الذّات العربيّة.

إنّ خطر العولمة أكبر بكثير ممّا نعتقد، وكلما اندمجت الأمة العربيّة مع العولمة وانساقت وراءها، وهو ما نلاحظه في واقعنا: الانجراف إلى الماديّة وغياب القيم الإنسانيّة، والتّركيز على مظاهر الأشياء بدل جوهرها، كلما كانت المعضلة أكبر بكثير.

ويمكن أن نلمس هذا في ثقافة حياتنا اليوميّة وأساليب عيشنا، حيث أضحت البيوت على الطّراز الغربي شكلا ومضمونا كدلالة على التّقدّم، وموائدنا تحضر من أطباقها إلى ديكورها على الطّريقة الغربيّة، ناهيك عن لباسنا ومختلف شؤوننا الحياتيّة فلم تسلم خصوصياتنا العربيّة من هذا التيار الذي مس جميع المجالات ودخل بيوتنا فنسف بأصالتّنا وكرس منطق التّبعيّة للآخر، وجعل النّموذج الرّاقي المتمثل في الغربي المتقدم في مقابل العربي المهمش الذي يمثل نموذج الانحطاط والاستغلال والدّونيّة.

كل هذا ينعكس على شخصياتنا وسلوكياتنا ومعاملاتنا والتي تمثل اللغة العربيّة التي هي لغتنا الأصليّة أحد مقوماتنا وأحد ضحايا تمردنا وانسياقنا نحو الآخر.

اللغة العربيّة بريئة من كل نقص، ويكفي أن الله عز وجل شرفها فهي محفوظة بحفظ القرآن على مر الأزمان وتعاقبها لكن الخلل يشوبنا نحن العرب، لأنّنا ابتعدنا عن ديننا فضعف الإيمان بالذّات ووهن جسد الأمّة الإسلاميّة، وتفكّكت روابط العروبة التي كانت في ما مضى موثقا ومكمنا للقوة والتّلاحم.

3.اللغة العربيّة والتّعدد الثّقافي: إنّ تحديد موقف الأنا ووجودها مرتبط أساسا بعلاقتها مع الآخر ثقافيا دينيا، سياسيا واجتماعيا .. ولعل فكرة التّسامح والتّصالح بين الأنا والآخر هي من بين المشكلات والمعوقات التي تواجهنا اليوم بطرح إشكال كيف أتعايش مع أو أتقبل الآخر بكل مستوياته وانتماءاته الثّقافيّة خاصّة؟ وهذا ما عبّر عنه حوار الحضارات في مقابل صدام الحضارات.

يقول المفكر مالك بن نبي: «أنّ كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة، ولو أردنا محاكاة هذه الجملة بصورة أخرى – مع اعتبار ما بين الحضارة والثّقافة من ربط وثيق – لقلنا أنّ أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثّقافة، وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثّقافيّة المحققة. وإذن فمصير الإنسان رهن دائما بثقافته»[7] (بن نبي،2017).

بهذه العبارة يشير" بن نبي " إلى كون الحضارة مجموعة من القيم الثّقافيّة، وتكون بالتّالي مصائر الإنسانيّة معلقة بحضارتها وثقافتها، ولذلك فإن التّعايش الثّقافي هو السّبيل إلى حل الأزمات الإنسانيّة.

غير أنّ هذا التّعايش ملزم بأن لا يتعدى خصوصيّة كل ثقافة حتى لا تتلاشى الثّقافات وتهدم الهويات ومنه الحضارات واللغة العربيّة هي المعبر عن الثّقافة العربيّة الإسلاميّة وتراثها وأصالتّها، فبين اللغة والثّقافة علاقة وطيدة إذ لا يمكن تصور لغة ما لا تنتج ثقافة، مهما كانت هذه اللغة، ومهما كانت هذه الثّقافة، كما أنّنا لا نتصور ثقافة لا تعتمد في جانب أساس منها على وعاء فكري لغوي يحتويها ويتفاعل معها وينقلها للآخر، فهي علاقة تكامل بين اللغة والثّقافة. فحال الثّقافة كما نقل ميكشيللي عن بينديكت:

«كحال اللغة، إذ يمكن أن ندرك الثّقافة بنفس الطّريقة التي ندرك بها اللغة. إذ تشتمل الثّقافة على قواعدها الخاصة وصيغها المختلفة وهي كاللغة لأنها تنطوي في ذاتها على صور إدراكيّة للعالم والكلمات وهي أيضا كالرّموز الثّقافيّة إذ تشكل فئات إدراكيّة متقطعة للعالم الخارجي» [8](ميكشللي،1993).

ولعلّ ما ذهبت إليه الباحثة وسيلة سناني " في مؤلفها "في نظريّة التّداخل الثّقافي" يوضح ما سبق ويطرح جزءا مهما عن طبيعة هذا التّداخل في الثّقافات والهويات الذي تراه ميزة خاصة للدراسات المعرفيّة والأدبيّة في العالم اليوم، نتيجة تطور المنظور المعاصر حول التّاريخ والهويّة وأن النّتائج المعرفيّة للفلسفة النّاقدة لفلسفة الحداثة قدمت تصورا عن الهويات الثّقافيّة بوصفها تكوينات غير ثابتة تجمع بين عناصر ثابتة وعناصر متغيرة [9](سناني،2016). فهي عناصر حسب الباحثة مبنيّة في الأصل على التّداخل والتّعدد ومتعلقة بالغيريّة وتقوم بالتّحول المستمر والإحساس بالتّميز.

وإن كان التّعدد الثّقافي ميزة للأعمال الأدبيّة والنّقديّة وخطوة هامّة نحو بناء معرفي جديد فإن خصوصيّة الثّقافة العربيّة لغة وفكرا مطلوبة في الخطاب العربي لأنّها المعبرة عنه والمنتميّة إليه.

وتحظى: «التّعدديّة الثّقافيّة في عالمنا المعاصر بكثير من الطّلب عليها. فكثيرا ما تستدعى في صناعة السّياسات الاجتماعيّة والثّقافيّة والسّياسيّة، خصوصا في أوروبا الغربيّة وأمريكا وهذا لا يثير الدّهشة على الإطلاق، حيث إن الزّيادة في العلاقات

والتّفاعلات الكوكبيّة والهجرات الواسعة على الأخص قد وضعت ممارسات متنوعة للثقافات المختلفة بعضها بجوار بعض »10[10](أمارتيا،2008).

للثقافة إذن دور كبير ومؤثر، وحبس الثّقافات عن الحضارات والهويات الدّينيّة لا يأخذ سوى نظرة شديدة الضّيق إلى ما يمكن عزوه إلى الثّقافة ف: «هوياتنا الثّقافيّة يمكن أن تكون عظيمة الأهميّة لكنها لا تقف في تصلب وحدها معزولة عن التّأثيرات الأخرى في فهمنا وأولوياتنا»[11] (أمارتيا،2008). فهويّة الفرد ومنه هويّة المجتمع هي التي تعبر عن ثقافته وانتمائه، فالثّقافة هي جميع النّتاجات الماديّة والمعنويّة التي أنتجها المجتمعات عبر تاريخها من أجل الحفاظ على حضارتها واستمراريتها، واللغة جزء من هذا النّتاج لأن المجتمعات تؤسس نفسها من خلال اللغة.

فاللغة جزء مهم من الثّقافة والمجتمعات تعبر عن نفسها من خلال لغتها وهذا مرتبط بثقافتها ودون هذه الأمور ستكون المجتمعات مجردة وعبارة عن كيان فارغ، ومهما بلغت ثقافتها ستبقى عاجزة عن التّعبير عنها دون لغة ووعاء فكري.

حتى أن المجتمعات التي لا تنمو من جذورها ستكون مجتمعات مهمشة ولن تحيا من أجل ذاتها بل من أجل الأنظمة الحاكمة وستعيش معزولة عن كينونتها الأصليّة ودائمة التّبعيّة، وهكذا مجتمع سيكون سببا للعبوديّة في جميع مجالات الحياة سياسة واقتصادا وثقافة ...

إنّها ثقافة بل ثقافات غريبة: «تسري في أوصالنّا من حيث لا ندري .. وتفتك بنا شيئا فشيئا من غير إحساس بالألم، كفعل المخدر في الجسد، إنها تلجم مشاعرنا وتغير أفكارنا دون أن نتعاطى مع مثل هذا الفعل الثّقافي بوعي ومن ثم رده أو قبوله وفق مرجعياتنا»[12] (بلخير،2006)، فعزل المجتمعات عن لغتها يعني عزلها عن كينونتها وهويتها.

والحديث عن التّعدد الثّقافي أو التّبادل الثّقافي «يصبح تقريبا غير ذي فائدة أو موضوع، عندما يخرج عن إطاره الذي يمنحه قيمته الاجتماعيّة ومغزاه الثّقافي»[13] (بن نبي،2017).

فتحديد التّبادل الفعال يساعد على تكوين ثقافة معينة، ويجب أن يبدأ من نظرة عامّة عن المحيط الثّقافي، لأنّ الثّقافة هي محيط الإنسان الذي يتحرك في حدوده فيغذي إلهامه ويكيف مدى صلاحيته للتأثير عن طريق التّبادل؛ والثّقافة جو من الألوان والأنغام، والعادات والتّقاليد والأشكال والأوزان والحركات، التي تطبع حياة الإنسان اتجاها وأسلوبا خاصا يقوي تصوره، ويلهم عبقريته، ويغذي طاقاته الخلاقة؛ إنّها الرّباط العضوي بين الإنسان ومحيطه كما عبر عن هذا مالك بن نبي.

إنّ العلاقة إذن بين الهويّة اللغويّة والهويّة الثّقافيّة، إنّما تنطلق هي نفسها من تراث يضرب بجذوره في الثّقافة المدنيّة لكل مجتمع له خصوصياته اللغويّة والثّقافيّة.

إنّ التّحدي الكبير للتعدد الثّقافي وإن كان محمودا في بعض جوانبه إلاّ أنّه يشكل أزمة ثقافة عابرة للثقافات ومتغلغلة فيها تهمش الثّقافة الأصليّة وتؤدي إلى تلاشيها مع مرور الزّمن ممّا يضعف بنيّة المجتمع وتكويناته والتي تشكل اللغة العربيّة أبرز ركائزه ومقوماته.

اللغة العربيّة بين تداخل الثّقافات وتمثل الهويّة: وإن كانت العولمة تهدد الثّقافات، فإنّه يمكننا القول أنّه لا توجد ثقافة عالميّة واحدة بل المتواجد هو عدد من الثّقافات المتعددة والمتنوعة على مستوى الأفراد والجماعات والأمم وتعمل كل ثقافة من هذه الثّقافات بصورة عفويّة وتلقائيّة، أو عن طريق تدخل أصحاب هذه الثّقافة بهدف الحفاظ على مقوماتها وكيانها الخاص.

فالهويّة الثّقافيّة هي كيان يصعب حصره في معطى نهائي، لأنّها قابلة للتطور كما يمكن أن تسير في اتجاه التقلّص والتّلاشي، كما تقبل الانتشار والتّوسع.

4.اللغة العربيّة وتحدي العولمة: لا يوجد تعريف واحد متفق عليه من قبل المفكرين والباحثين للعولمة أو الكوكبة كحركة وكظاهرة تمثل أبرز وأهم تحول تميز به عصرنا وأكبر تحد يواجه الشّعوب ودول العالم الضّعيف؛ حيث ارتبط مفهوم العولمة في الفكر عامة وفي الحياة المعاصرة بالتّطور العلمي والتّكنولوجي الذي تميز به العصر الحديث والمعاصر.

تعددت واختلفت تعاريف العولمة فسرّها، كل حسب انتمائه وفلسفته وايديولوجيته، وتباينت هذه الاتجاهات بحسب المواقف بين الرّفض والقبول؛ لكن المتفق عليه هو أن العولمة:

«حركة ومسعى إنساني عام يستهدف تعميم نمط حضاري وإيديولوجي وثقافي واقتصادي وسياسي واحد على كافة شعوب العالم»[14] (بوبكر،2001).

من هنا نجد أنّ العولمة اتجاه شامل يعمل على فرض نمط حياة على كافة شعوب العالم وهذا ينفي الخصوصيّة والاختلاف بين المجتمعات، ويجبرها على اتباع هذا النّظام العالمي الجديد دون الالتفات إلى الخصوصيات الثّقافيّة والاجتماعيّة والعقائديّة.

وإن كان للعولمة سلبيات وإيجابيات، فالرّفض المطلق لها خاصّة في الجانب العلمي والتّكنولوجي، له انعكاساته على الشّعوب الضّعيفة إذ: «أدى التّشخيص الخاطئ الذي يقول إنّ عولمة الأفكار والممارسات لابد من مقاومتها لأنّها تجلب التّغريب دورا ارتداديا للغاية بالفعل في عالم الكولونياليّة وما بعد الكولونياليّة فهذا التّشخيص يستحدث وجهة نظر إقليميّة ضيقة كما يقلل من قيمة التّقدم في العلوم والمعرفة العابر للحدود»[15] (أمارتيا،2008).

فالعولمة إذن سلاح ذو حدين لها وعليها، لكن الكل يتفق على أنّها تهدف إلى نظام عالمي شامل مسيطر على كل المجتمعات خاصة الضّعيفة منها، ومنها يظهر خطرها الذي يهدد المجتمعات ليس سياسيا واقتصاديا فقط بل يتجاوزه إلى الفكر والثّقافة ومنه اللغة.

وتتجلى علاقة اللغة بالعولمة باعتبارها نسقا فكريا رمزيا ودلاليا يختص به الإنسان هذا النّسق متعدد ومتباين يبرز حياة الإنسان وتوجهه وإنتاجه وانتمائه، يؤثر ويتأثر بالعولمة باعتبارها نظاماً شاملاً لحياة الإنسان ونمطاً واحداً لمعيشته.

وكل ما يطرأ من تحولات في العولمة يمس بالضّرورة اللغة كطابع اجتماعي وخاصيّة إنسانيّة.

فاللغة هي التي تكشف عن طبيعة العولمة وحقيقتها المزيفة وأبعادها وآثارها وتداعياتها، كما تعبر العولمة عن نفسها باللغة كأداة للتعبير والتّواصل، وجميع اللغات

تنصهر وتذوب كلغات مهمشة وهامشيّة في لغة العولمة باعتبارها اللغة المركزيّة والمسيطرة.

اللغة هي القادرة وحدها على نقل قيم وأفكار وتوجهات العولمة المختلفة مع كل زمن، عبر استخدام وسائل التّواصل المختلفة وباللغات المختلفة التي تمكن العولمة من الانتشار أكثر والسّيطرة والنّفوذ أكثر.

وتعتبر اللغة الانكليزيّة هي لغة العولمة لأنّها لغة المركز، ويسعى هذا الأخير لفرضها على العالم أجمع من منطلق كونها لغة التّواصل العلمي والتّكنولوجي وأكثر اللغات تعبيرا عن منجزات العصر ومستجداته ولغة الإنتاج الصّناعي ولغة الرّأي العام والسّياسي.

أمّا بالنّسبة للغة العربيّة فيمكن اعتبار العولمة حربا وتحديا يواجه لغتنا العربيّة؛ بل كل لغات العالم، فسيطرة اللغة الانـكليزيّة على اللغة العربيّة واضح وجلي خاصّة في بلدان الخليج –اللغة الفرنسيّة في الجزائر –حيث تتعرض اللغة العربيّة ليس فقط لتحدي من العولمة بل لجفاء أبنائها وإعراضهم عنها وهذا ما يتمظهر في الخطابات المتداولة باستخدام العبارات الأجنبيّة بصورة عاديّة.

وتجاوز الأمر الخطابات اليوميّة ليشمل المؤسّسات التّعليميّة والتّربويّة التي من المفروض أنها تكرس كل الإمكانيات الماديّة والبشريّة لتعزيز اللغة العربيّة وتأصيلها لكننا نلاحظ الاهتمام المتزايد باللغة الأجنبيّة أكثر. وهذا مظهر من مظاهر غزو العولمة للهويّة اللغويّة.

ويمكننا حصر مظاهر العولمة على اللغة العربيّة في هذه النّقاط التاليّة:

- تداول اللغة الأجنبيّة الفرنسيّة أو الانكليزيّة في الخطابات اليوميّة؛
- وسم اللافتات في الإعلانات والمحلات التّجاريّة باللغة الأجنبيّة؛
- استخدام اللغات الأجنبيّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ بصورة كبيرة؛
- الاهتمام الكبير والتّوجه الأجنبي باللغة الاجنبيّة في المؤسّسات التّربويّة والتّعليميّة والمؤسّسات الفاعلة في المجتمع؛

– اعتمادها كلغة رسميّة في المحافل الدّوليّة – الفرنسيّة في الجزائر– من قبل مسؤولي الدّولة، في حين من المفروض أن تكون لغة الدّولة هي اللغة الأصليّة والمعبرة عن هويّة المجتمع؛

– انحصار استخدامها على الفئة المثقفة والنّخب في المجتمع العربي.

إنّ ما تواجهه اللغة العربيّة اليوم، يعود لأسباب متعددة ومتداخلة، ونتيجة هذا هو ضعف اللغة العربيّة كحقيقة لا مفر منها في واقعنا، فالتّراجع العقلي والثّقافي ظاهر في كل صور الحياة المتعددة، وهذا ما يخلق أزمة في الهويّة اللغويّة بل يتعداها إلى الأزمة الثّقافيّة والحضاريّة بكل مستوياتها الاجتماعيّة والفكريّة والسّياسيّة...

وهذا يعود لتراجع مكانة اللغة العربيّة بانحراف أهلها عن مكامن قوتها وابتعادهم عمّا يجعل للأمة قيمتها ومكانتها كقوّة عقليّة وإيمانيّة وصون مصالح الأمّة بما فيها هويتها، كما كان للأفكار والنّظم الغربيّة نصيبها الوافر على العقل العربي الإسلامي في توجيهه الوجهة التي تريد.

العولمة إذن إمّا أن تتيح فرصة للشعوب للانفتاح على بعضها وتداخل الثّقافات وتمازجها دون إلغاء الخصوصيّة الثّقافيّة لكل شعب، من أجل التّعرف على التّراث الحضاري والفكري واللغوي لكل شعب، وهذا يعطي الحق لكل أمّة في الاختلاف والتّنوع والاعتراف بإسهامات كل ثقافة في بناء الحضارة الإنسانيّة.

أو أنّ العولمة هي فرصة تؤدي إلى تدمير الثّقافات وتدمير الحضارات، بغيّة إلغاء الآخر وفرض التّجانس على الشّعوب للسيطرة عليها واستلاب خيراتها وجعلها تابعة لها في كل شؤونها.

إنّ تهميش الثّقافة الوطنيّة واللغة القوميّة للشعوب من قبل العولمة هي قتل وتطويق لكل ما هو أدبي وفني، وهي بذلك تسعى إلى حصر خبرة المثقف من خلال تقديم كل ما هو جاهز وموثق بعد أن كان المثقف يختبره بنفسه في عمله وحياته وسائر شؤونه وإن كان هذا يختصر عليه الجهد والوقت إلاّ أنّه يحرمه لذّة التّجريب ومعايشة الواقع والارتقاء بلغته من خلال تفعيلها بالبحث عن الجديد والمتجدد.

هكذا تواجه اللغة العربيّة عصر العولمة منذ بداية جذوره، المتمثلة في الاستعمار الانـكليزي على المشرق العربي الذي ورث اللغة الانجليزيّة، والاستعمار الفرنسي على المغرب العربي الذي ورث اللغة الفرنسيّة، كمحاولة للقضاء على الهويات وكنوع من الغزو الثّقافي للشعوب، طرد الاستعمار لكن مخلفاته الثّقافيّة لازالتّ تنخر جسد الأمم العربيّة وتنزف هوياتها شيئا فشيا وأصبح المجتمع العربي هش البنيّة متذبذب الهويّة.

5.خاتمة:

– كحوصلة لما سبق نجد أنّ اللغة تستعمل في وضعيات مختلفة بين الأفراد والجماعات وكل مجموعة لديها معاييرها اللغويّة الخاصّة بها؛

– اللغة والثّقافة هما من أهم الأمور التي تحدد شخصيّة الفرد والجماعة والتي تسهم في توجيه التّفكير لدى الإنسان، لذلك من الضّروري الاعتناء بها وتوريثها للأجيال اللاحقة؛

– اللغة العربيّة تمثل هويّة المجتمع الإسلامي العربي وتعكس تاريخه وتدون تراثه ومنجزاته؛

– تواجه اللغة العربيّة أزمة تداخل الثّقافات وتعددها، والتي تهدد الهويّة الثّقافيّة للأمة المتمثلة في هويتها اللغويّة العربيّة الأصيلة؛

– تحدي العولمة من أصعب التّحديات التي تطوق عنق اللغة العربيّة وتضخم أزمتها، لأنّها تسعى إلى إرساء نظام وحيد متمركز بلغة واحدة هي اللغة الانكليزيّة في مقابل دحض وتهميش اللغات الأخرى ومنها اللغة العربيّة.

<u>اقتراحات:</u>

- الاهتمام باللغة العربيّة والسّعي إلى الحفاظ عليها وتطويرها؛
- تعزيز اللغة العربيّة في المدارس والمؤسسات التّربويّة والتّعليميّة والارتقاء بها بدل الاعتماد على اللغات الأجنبيّة؛
- التّكثيف من النّدوات والملتقيات والأيام الدّراسيّة التي تعالج وضعيّة اللغة العربيّة؛
- التّوعيّة بقيمة اللغة العربيّة ومكانتها لدى جميع فئات المجتمع؛

- التّحسيس بضرورة استخدام اللغة العربيّة في الحياة اليوميّة وعلى مستوى المؤسّسات التّجاريّة والصّناعيّة؛
- اعتماد اللغة العربيّة كلغة رسميّة في المحافل الدّوليّة؛
- توعيّة الأجيال بضرورة الحفاظ على اللغة العربيّة كثقافة تشكل هويّة المجتمع؛
- دعوة النّخب والمثقفين إلى ضرورة الالتّزام باللغة العربيّة نظريا وتطبيقيا باعتبارها قضيّة تمس هويّة المجتمع وثقافته وأمنه الفكري؛
- دور الأسرة في التّحسيس والتّوعيّة بأهميّة اللغة العربيّة كهويّة عربيّة إسلاميّة؛
- السّعي إلى بناء الوطن العربي فكريا وعلميا لأنّها من الأسباب التي أدت إلى التّبعيّة الفكريّة والثّقافيّة والسّياسيّة..؛
- عدم الذّوبان في الآخر باعتباره صورة مثلى يجب اتباعها، والحرص على ترسيخ الهويّة العربيّة والاعتزاز بها وتطويرها.

6.قائمة المراجع:

- **القرآن الكريم برواية ورش.**
- ابن خلدون: المقدمة "تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر "، بيروت، مؤسّسة للمطبوعات،1971ط، ص123.
- أليكس ميكشيللي: الهويّة، تر: علي وطفة، دار النّشر الفرنسيّة، ط1993،1 ص7.
- أمارتيا صن: الهويّة والعنف، تر: سحر توفيق، عالم المعرفة، ط2008 ص151.
- جيلالي بوبكر: العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقييم، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، ط2001،1، ص5.
- فيصل الحفيان: اللغة والهويّة إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات "، بحث في مجلة التّسامح، العدد الخامس، مسقط، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة.
- ليلى محمّد بلخير: قضايا المرأة في زمن العولمة، دار الهدى للنشر والطّبع والتّوزيع، عين مليلة ،2006، ص15.

- مالك بن نبي: مشكلة الثّقافة، دار الفكر، دمشق، ط20، 2017، ص.
- وسيلة سناني: في نظريّة التّداخل الثّقافي، دار فضاءات للنشر والتّوزيع ط2016، ص.

7.الهوامش:

[1]- أليكس ميكشللي: الهويّة، تر: علي وطفة، دار النّشر الفرنسيّة، ط1، 1993، ص7.

[2]- ليلى بلخير: قضايا المرأة في زمن العولمة، دار الهدى للنشر والطّبع التّوزيع، عين مليلة،2006، ص15.

[3]- فيصل الحفيان: اللغة والهويّة إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات، مجلة التّسامح، العدد الخامس، مسقط، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة.

[4]-ابن خلدون: المقدمة تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مؤسّسة للمطبوعات دط 1971، ص123.

[5]-القرآن الكريم: سورة يوسف الآية 2.

[6]-القرآن الكريم: سورة الشّعراء الآية195.

[7]-مالك بن نبي: مشكلة الثّقافة، دار الفكر، دمشق، ط2017،20،ص101.

[8]-المرجع السّابق: الهويّة، ص27.

[9]-ينظر: وسيلة سناني: في نظريّة التّداخل الثّقافي، دار فضاءات للنشر والتّوزيع ط2016.

[10]-أمارتيا صن: الهويّة والعنف، تر: سحر توفيق، دار المعرفة، دط،2008،ص151.

[11]-المرجع نفسه، ص109.

[12]–المرجع السّابق: قضايا المرأة في زمن العولمة، ص16.

[13]–المرجع السّابق: مشكلة الثّقافة، ص102.

[14]–الجيلالي بوبكر: العولمة مظاهرها وتداعياتها نقد وتقييم، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2001، ص5.

[15]–المرجع السّابق: الهويّة والعنف، ص131.